سورة النمل

معانى الكلمات :

يعمهون : يتجبرون أو يعمون عن الرشد .

أنست ناراً : رأيتها .

بشهاب قبس : بشعلة نار .

تصطلون : تستدفئون .

لم يعقب : لم يلتفت .

جيبك : فتحة الثوب الذى يدخل منه الإنسان رأسه .

مبصرة : واضحة ظاهرة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر بقيمة القرب من الله .

٢ ـ أن يتعرف الداعية على شروط الإيمان الصحيح،وعلاقة ذلك بقصة الكليم موسى عليه السلام .

٣ ـ أن يستكمل المؤمن إيمانه بزيادة العبادات بأنواعها : بدنية ومالية .

المحتوى التربوى :

تبدأ السورة بإثبات إعجاز القرآن بحروفه التى من جنس كلام العرب ، ولا يستطيعون أن يؤلفوا كتابا مثله ،ويلى ذلك التنبيه ذكر القرآن ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ والكتاب هو نفسه القرآن ، وذكره بهذه الصفة هنا يبدو لنا أنه للموازنة الخفية بين استقبال المشركين للكتاب المنزل عليهم من عند الله ، واستقبال ملكة سبأ وقومها للكتاب الذى أرسله إليهم سليمان ، وهو عبد من عباد الله .

ثم يصف القرآن أو يصف الكتاب بأنه ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والتعبير القرآنى على هذا النحو يجعل مادة القرآن وماهيته هدى وبشرى للمؤمنين ، والقرآن يمنح المؤمنين هدى فى كل فج ، وهدى فى كل طريق .

وفى تخصيص المؤمنين بالهدى ، وتكمن حقيقة ضخمة فيقول فى ذلك **صاحب الظلال** : « إن القرآن ليس كتاب علم نظرى أو تطبيقى ينتفع به كل من يقرؤه ويستوعب ما فيه،إنما القرآن كتاب يخاطب القلب أول ما يخاطب، ويسكب نوره وعطره فى القلب المفتوح ، الذى يتلقاه بالإيمان واليقين ، وكلما كان القلب نديا بالإيمان زاد تذوقه لحلاوة القرآن ، وأدرك من معانيه وتوجيهاته ما لا يدركه منه القلب الصلد الجاف ، واهتدى بنوره إلى مالا يهتدى إليه الجاحد الصادف ، وانتفع بصحبته مالا ينتفع القارئ المطموس .

وإن الإنسان ليقرأ الآية أو السورة مرات كثيرة ، وهو غافل أو عجول فلا تفضى له بشىء ، وفجأة يشرق النور فى قلبه ، فتتفتح له عن عوالم ما كانت تخطر له ببال ، وتصنع فى حياته صنع المعجزة فى تحويله من منهج إلى منهج ، ومن طريق إلى طريق .

وكل النظم والشرائع والآداب التى يتضمنها هذا القرآن إنما تقوم قبل كل شىء على الإيمان ، فالذى لا يؤمن قلبه بالله ، ولا يتلقى هذا القرآن على أنه وحى من عند الله ، وعلى أن ما جاء فيه إنما هو المنهج الذى يريده الله ، الذى لا يؤمن هذا الإيمان لا يهتدى بالقرآن كما ينبغى ، ولا يستبشر بما فيه من بشارات » .

ثم يعرض القرآن لصفات المؤمنين الذين يستأهلون البشرى والهدى ، وهى العبادة البدنية التى تنهى عن الفحشاء والمنكر والعبادة المالية التى تطهر النفس من الشح ، ثم هم بعد ذلك يؤمنون بالقضية المحركة للخشية من الله وهى الإيمان بالآخرة ، أما المنكرون ليوم الآخرة فهم فى الضلال يهيمون ؛ لأنه لا يحركهم هدف أو خشية من الله عز وجل ، ولأن التغافل عن الآخرة يدفع للموبقات والشهوات ، فيكون الجزاء سوء العقاب والنكال من الله عز وجل .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : « إن اليقين باليوم الآخر خلة المؤمن الدافعة إلى الخير ، والتى تجعله يتحمل متاعب هذه الحياة راجيا ما وراءها ، فإن فقد الإيمان باليوم الآخر ينسى الإنسان نفسه ، فيعتقد أن هذه الحياة هى وحدها الحياة ولا حياة بعدها ، ويحسب أنه خلق عبثا ، ولذا قال سبحانه : ﴿ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ ﴾ ، أى حسَّن الله لهم أعمالهم ، فحسبوها وحدها الخير ، ولا يحسبون أن أعمالهم كلها زينة وأمر حسن ، فهم دائما ممن زين لهم أعمالهم فرأوه حسنا ، فكل أعمالهم لا ينظرون إليها إلا من وراء نفوسهم غير المستقيمة ، ولا يعترفون بإرشاد مرشد ، ولا هداية هاد ، واعظ أو زاجر ، فهم فى لهو دائم عن الحق ، وإن من كانت حاله كذلك قد ضرب على آذانه ، فلا يسمع الحق ، ولا يهتدى بهدية ، قد أهمل عقله وتفكيره ، وما أعطاه الله تعالى من مواهب ، وفطرة مستقيمة ... ذلك أنهم يعمهون » .

والعاقبة معروفة لمن يزين له الشر والسوء سواء كان سوء العذاب لهم فى الدنيا أو فى الآخرة ، فالخسارة المطلقة فى الآخرة ، محققة جزاء وفاقا على الاندفاع فى سوء الأعمال .

يقول صاحب الظلال فى قوله تعالى : « ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ لفظ ﴿ لَتُلَقَّى ﴾ يلقى ظل الهداية المباشرة السنية من لدن حكيم عليم ، يصنع كل شىء بحكمة ، ويدبر كل أمر بعلم ، وتتجلى حكمته وعلمه فى هذا القرآن فى منهجه وتكاليفه وتوجيهاته ، وطريقته ، وفى تنزيله فى إبانة ، وفى توالى أجزائه وتناسق موضوعاته » .

وتأتى هنا حلقة من حلقات العقيدة لطمأنة قلب الرسول ، وتثبيت فؤاده فى مشهد من مشاهد قصة الكليم موسى عليه السلام ، وترى رعاية الزوج لأسرته وخروجه لخدمة أهله بين الناس وحدبه وعطفه عليهم ، واستحقاق موسى عليه السلام لهذا التلقى ؛ لأنه استكمل شروط الطاعة فاستحق الاصطفاء بالرسالة ، فبعد ذهابه للإتيان بنار للاهتداء وللاستدفاء بها خوطب من قبل رب العزة ، وأمره بإلقاء عصاه فتحولت حية فخاف ، فكان النداء المطمئن إنه ﴿ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ ؛ فالدعاة لا يخافون لتعلقهم بالله الذى بيده النفع والضر، والأخذ والعطاء، أما الذين يخافون عند ربهم فهم الظالمون لأنفسهم ؛ لأنهم لم يقدموا فى دنياهم طاعة تشفع لهم .

ثم يفتح الله باب التوبة لمن ظلم بأن يتوب ، والله يعد بالمغفرة للذنوب ، ثم الرحمة ، وهاهنا جاءت المغفرة والرحمة فى مقام الاطمئنان ، وصفات الربوبية ، والعزة ، والحكمة قبل ذلك؛ ليتنوع الخطاب الربانى للمكلف بالدعوة لتعليمه بأن يتنوع خطابه ؛ ليصل كلامه ولتتم رسالته .

وتأتى الآيات بدلائل ومعجزات لفرعون ولبنى إسرائيل حتى يؤمنوا ، ولكن الجحود والاستكبار منعهم من الإيمان ، وذلك حفاظًا على الأوضاع التى تسندهم ، والمغانم التى تتوافد عليهم ، فلجؤوا إلى ما يلجأ إليه الظلمة من اتهام الدعاة ، بالتهم الباطلة بكون موسى ساحرا، وهم يعلمون كذب حديثهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ إن المستحقين لهداية وبشرى القرآن هم القريبون من الله المستكملون لشروط الإيمان .

٢ ـ باب التوبة مفتوح لمن لجأ إلى الله ،وإن كان قد أسرف على نفسه قبل ذلك ـ والأخذ بيد التائبين إلى النجاة .

٣ ـ تنوع وسائل الدعوة إلى الله ، وتنوع الخطاب فى الدعوة .

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾
٣٧٨

معانى الكلمات :

منطق الطير : لغة الطير .

يوزعون : يمنعون من التقدم .

لا يحطمنكم : لا يهلكنكم .

أوزعنى : ألهمنى .

بسلطان مبين : بحجة واضحة .

أحطت : اطلعت .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بفضل قيمة الشكر .

٢ ـ أن يتعرف المسلم على سلوك الأنبياء إزاء نعم الله .

٣ ـ أن يتعود المسلم شكر نعمة الله قولًا وعملًا .

المحتوى التربوى :

وهنا تأتى نهاية الظالمين الذين رأوا الآيات أمامهم ، وتيقنوا منها ، ومن صدق من يدعونهم، فاستحقوا العقاب ؛ لأنهم جحدوا بنعمة الله .

ثم تتواصل ملحمة الدفاع عن العقيدة بذكر قصة داود وسليمان عليهما السلام ، وتُستهل بإقرار الفضل الله ، وهو فضل العلم ، وحمد الله على تعليم سليمان لغة الطير ، فكان العلم هنا مقرناً إلى الله ؛ ذلك لأن المنعم عليه أدرك فضل النعمة بشكر المنعم باللسان والجوارح ، وليس تعلم الذين لا يخشون الله ، فاستخدموه فى الهلاك والدمار .

يقول الإمام الفخر الرازى : « وأما قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ففيه أبحاث :

أحدها : إن الكثير المفضل عليه هو من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما ، وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير .

ثانيها : فى الآية دليل على علو مرتبة العلم ؛ لأنهما أوتيا من الملك ما لم يؤت غيرهما فلم يكن شكرهما على الملك كشكرهما على العلم .

وثالثها : أنهم لم يفضلوا أنفسهم على الكل ، وذلك يدل على حسن التواضع .

ورابعها : إن الظاهر يقتضى أن تلك الفضيلة ليست إلا ذلك العلم ، ثم العلم بالله وبصفاته أشرف من غيره ، فوجب أن يكون هذا الشكر ليس إلا على هذا العلم ، ثم إن هذا العلم حاصل لجميع المؤمنين ، فيستحيل أن يكون ذلك سببا لفضيلتهم على المؤمنين .

فإذن هو أن يصير العلم بالله وبصفاته جليا بحيث يصير المرء مستغرقا فيه بحيث لا يخطر بباله شىء من الشبهات ، ولا يغفل القلب عنه فى حين من الأحيان ، ولا ساعة من الساعات » .

وقال صاحب الظلال فى قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ « المفهوم إنها وراثة العلم ؛ لأنه هو القيمة العليا التى تستأهل الذكر ، ويؤكد هذا إعلان سليمان فى الناس ..فيظهر ما علمه من منطق الطير، ويجمل بقية النعم مع إسنادها إلى المصدر الذى علمه منطق الطير، وليس هو داود، فهو لم يرث هذا عن أبيه،وكذلك ما أوتيه من كل شىء ، إنما جاءه من حيث جاءه ذلك التعليم».

على أن هذا كله لم يكن إلا شقا واحدًا للخارقة التى أتاحها الله لعبده سليمان ، أما الشق الآخر فكان تسخير طائفة من الجن والطير لتكون تحت إمرته ، وطوع أمره ، كجنوده من الإنس سواء بسواء .

ثم تسوق الآيات خروج سليمان وموكبه المهيب ، وتنظيمه الدقيق ثم يشعر بنعمة الله ويتواضع له ، فلا تطغيه ضخامة جيشه ، بل أدرك نعمة الله عليه بخطاب النملة ، وهى أمة منظمة ، فتوجه بالشكر إلى الله على نعمه عليه وعلى آبائه ، ويدعو ربه أن يوفقه للعمل الصالح ، وأن يكون هو ـ سليمان ـ من الصالحين ، إن قيم التواضع ، وحسن التدبر ، والذكر والخشية تظهر فى الآيات،وتشير إلى أن فضل الله يجب أن يقابل بالشكر وأن العمل الصالح توفيق من الله.

قيمة المعجزة ليس فى إدراك سليمان للغة النملة فحسب ، ولا إدراك النمل للخطر فقط ، بل تظهر أكثر فى إدراك النملة أن هذا هو سليمان وجنوده ، وأن إهلاكه لمملكة النمل إن حدث لن يكون عمداً ، لأن رسالة الأنبياء الإصلاح لا الإفساد ؛ لذا فقد تبسم سليمان .

قال الإمام الفخر الرازى : « اعلم أن سليمان ﷺ طلب ما يكون وسيلة إلى ثواب الآخرة أولا ، ثم طلب ثواب الآخرة ثانيا ، أما وسيلة الثواب فهى أمران :

أحدهما : شكر النعمة السالفة . **والثانى** : الاشتغال بسائر أنواع الخدمة .. وأما طلب ثواب الآخرة فقوله : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ .. والصالح الكامل هو الذى لا يعصى الله تعالى ، ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية » .

ثم مشهد آخر من مشاهد نعمة الله لنبيه سليمان ﷺ وترى فيها صفات الحاكم المسلم ، وكل من له رعية ، فتفقد الطير ، ولم يجد فرداً من الرعية ، ويقول فى ذلك **صاحب الظلال** : « ندرك من افتقاده لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته : سمة اليقظة والدقة والحزم ، فهو لم يغفل عن غيبة جندى من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطير ، الذى لا يجمع آخره على أوله كى لا يتفرق وينتكث » .

وسمة أخرى من سمات الحاكم العادل هى الشدة والحزم مع من تخلف عن مكانه ، ثم هو مع ذلك عادل لا يعاقب من يأتى بحجة قوية توضح عذره ، وتنفى المؤاخذة .

ولم تمنع شدة الحاكم وهيبته أحد أفراد رعيته أن يقول أنه أحاط علماً لم يعلمه حتى لو كان هذا الحاكم نبيا مرسلا، علم منطق الطير ، وحشرت له الإنس والجن والطير ، وهذا نموذج مثالى للجندية الصحيحة أمام القيادة الراشدة ، فالجندى ـ الهدهد ـ تصرف بذاتية وليس تصرفا فوضويا ، وذهب لوقت قصير لهيبته من الحاكم ولإنهائه المهمة، ثم شجاعته فى مواجهة الحاكم، وذكائه ببدء حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته ، وتضمن إصغاء الحاكم له ، ثم مخاطبة الحاكم أن الخبر يقين وصادق لا أقاويل مرسلة ، وليست تخرصات أو تكهنات أو إشاعات .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً:

١ ـ أن يتعود المسلم على شكر نعمة الله عز وجل عليه ،وأن نمارس الشكر قولا وعملا .

٢ ـ فضل الشكر قولا وعملا .

٣ ـ الاحتياط والتبصر فى الحكم على الأمور .

٤ ـ الذاتية فى العمل للإسلام .

٥ ـ الاستيثاق من الأخبار ، ونقل الأخبار لمن تعنيه .

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأۡسٍ شَدِيدٍ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ
فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

معانى الكلمات :

امرأة : اسمها بلقيس .

أوتيت : أعطيت .

زين : حسن وحبب .

صدهم : منعهم .

الخبء : المستور من الأرزاق .

تول عنهم : تنح عنهم .

الملأ : أشراف قومها .

قاطعة أمرا : قاضية أمراً .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة الشكر .

٢ ـ أن يتعرف الداعية على دور الشورى فى قصة بلقيس ملكة سبأ .

٣ ـ أن يستشير المؤمن إخوانه فى كل أمر معين له .

المحتوى التربوى :

يبدأ السياق وقد أتى الهدهد ولم يقض وقتا طويلا مديدًا فى مكثه ، بل جاء فور التهديد الذى هدد به نبى الله سليمان عليه السلام ، وهو يقول له : علمت إحاطة ومعاينة لأمر لم تحط به ولم تعلم به علم معاينة ، وهكذا كان حظ الطير الضعيف أن يخاطب العظيم الذى أوتى كل شىء بالحرية وبالحق ، ليعلم الحكام الجهلة أن من واجبهم أن يواجهوا الحاكم بكل ما يعلمون وفيه مصلحة الدولة ، وأن عليهم أن يتقبلوا شديد القول كما يتقبلون لينه .

يتابع المشهد بعد ذكر كلمة ﴿ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ كأن ما يقال بعد ذاك هو غريب أن يصدقه عقل مؤمن فى أن تكون الولاية الكبرى لامرأة ، وقال : إنها ﴿ أُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ وهو ما قاله

سليمان عليه السلام : ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وأن عرشها ضخم فخم ، وكانت المفاجأة الكبرى أن النعمة لم تقابل بالشكر ، بل بالجحود والنكران ، وعبادة خلق من خلق الله ، وهى الشمس .

كان إدراك الجندى ـ الهدهد ـ لقضية العقيدة إدراكًا بالغًا ، فاستنكر عبادة الشمس ، وأرجع ذلك للشيطان الذى يغوى ويضل ويزين الضلال لبلقيس والقوم ، وهو يعلم أن كيد الشيطان ضعيف، ويعلن أن السجود لا يكون إلا لله الذى يخرج ما تخفيه الأرض، وما يراه الهدهد بنفسه، ويعلم السر والعلن ، فهى دعوة للتفكر فى خلق الإنسان وخلق السموات والأرض ، أو هى مقابلة للخبء فى السموات والأرض .

وعرش سليمان ، وعرش بلقيس ، وعروش ملوك الأرض لا تقاس بجانب عرش الله ، فهو رب العرش العظيم .

قال الإمام محمد أبو زهرة : « وصف الله ـ تعالى ـ المعبود بحق بثلاث صفات هى أعلى الصفات لواجب الوجود ، وكل صفاته عليا :

الصفة الأولى:أنه هو الذى يخرج خبأ السموات بالمطر الذى ينبت الزرع والنخيل والأعناب، ويخرج به خبأ الأرض بغلق الحب والنوى ، وإخراج المتراكب الذى يكون به غذاء الأحياء .

الصفة الثانية : أنه يعلم ما يسر وما يعلن الإنسان ، فهو عليم بحاله فى حركاته وسكناته ، وما يفعل من خير وشر ، ومجازيه على كل ما يفعل ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، وفيها تبشير بالجزاء ، وإنذار بالعقاب .

الصفة الثالثة : أن لا إله إلا هو ، فهو وحده المتصف بصفات الكمال التى توجب عبادته ، وهو صاحب السلطان رب العرش العظيم ، صاحب السلطان الكامل فى هذا الوجود » .

ويضبط الحاكم نفسه ، ويستوثق من خبر الهدهد ، لأنه نبى عادل وحاكم حازم ، وليس كالحكام الظلمة الذين يعاقبون بالذم ويسيرون أسرى الإشاعات الكاذبة والأقاويل المغرضة .

يواصل السياق عرض مشهد الدعوة من بدايتها ، ومنها الاستفادة من الجندى الذى عايش القصة من أولها، وهنا يبدو ملمح استعلاء سلاح الإيمان على أى سلاح ، فكانت البسملة هى افتتاح الكتاب إلى الملكة ، فكأنه عرض للدعوة بقوة من مقدمتها ، وعدم المهادنة ، كان سمت الخطاب إسلاميا ، وذم الاستكبار والاستعلاء ، لأنه من غواية الشيطان .

ويعرض النص القرآنى سمة الملكة الأريبة بعد هذه الدعوة أنها تلجأ للشورى ، وهذا سبب استمرارها كملكة لها عرش عظيم ، لكن من حولها يعرفون مقدارهم وقوتهم أنهم للقوة والبأس ، وتركوا أمر التصريف فى الحكم لها .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : « أجابوا بثلاثة أمو مطمئنة ملقية فى نفسها روح الاطمئنان على حكمها وسلطانها :

أول هذه الأمور: ﴿ نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ﴾ أى أصحاب قوة فى استعدادنا من حيث العدد والذخيرة، وكل ما يحتاج إليه الجند القوى المستعد .

وثانى هذه الأمور : أنهم ﴿ وَأُوْلُوا بَأْسٍ﴾ أى أهل همة ونجدة وشجاعة لا تفرط فى الدفاع أو الجهاد إذا دعا داعيه ، وإن بأسنا شديد ، لا نتخاذل فى حرب .

الأمر الثالث: أن القيادة كلها (الأمر إليها) ... أى إذا كان الأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين..؛ لأن الاستعداد كامل تنفيذ الذى تأمرين به كاملا غير منقوص » .

وأبرز القرآن حصافتها فى فهم طبيعة ملوك الدنيا الذين يفسدون القرى ويهلكون الحرث والنسل ، لكن نص رسالة سليمان مختلف عن طبيعة الملوك ، فلجأت للملاينة ، وبعثت بهدية وفى ذهنها كما يقول صاحب الظلال : « إن الهدية تلين القلب ، وتعلن الود ، وقد تفلح فى دفع القتال ، وهى تجربة ، فإن قبلها سليمان ؛ فهو إذن أمر الدنيا ، ووسائل الدنيا إذن تجدى، وإن لم يقبلها، فهو إذن أمر العقيدة ، الذى لا يصرفه عنه مال . ولا عرض من أعراض هذه الأرض » .

يقول صاحب الأساس : « لا شك أن فكرة الهدية فكرة سياسية رائعة ، إذ من خلالها تستطيع التعرف على قوة سليمان وجيشه ، كما أن للهدية العظيمة أثراً فى تليين نفوس الملوك فهى رشوة قد تفعل فعلها » .

ومن ثم قال قتادة رحمه الله : « ما كان أعقلها فى إسلامها وشركها ، علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ الحذر من غواية الشيطان وإضلاله بدوام الذكر والاستعاذة .

٢ ـ التحقق من صدق الأخبار .

٣ ـ الاستعانة بالشورى فى كل موقف .

٤ ـ معرفة كل إنسان قدره وقدراته .

٥ ـ صبغ كل أمر من أمور حياتنا بصبغة إسلامية .

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾
٣٨٠

معانى الكلمات :

لا قبل لهم : لا طاقة لهم .

صاغرون : أذلاء .

عفريت : مارد من الجن .

نكروا لها عرشها : غيروا ملامحه .

الصرح : قصر عظيم .

ممرد : مملس مسوى .

قوارير : زجاج شفاف .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة القرب من الله .

٢ ـ أن يتعرف المسلم على قصة إسلام بلقيس ملكة سبأ .

٣ ـ أن ينوع المسلم وسائل دعوته لغيره حسب حال الدعوة وظروف الدعوة .

المحتوى التربوى :

ترسم الآيات صورة للداعى إلى الله فى رده على الرشوة ، وهو يستنكر ذلك من أنه لا يريد المال ؛ لأن الأمر أمر عقيدة ، والله منّ عليهم بالملك والعلم وغير ذلك وقبل ذلك بالنبوة ، فكيف يقبل التخلى عن دعوته بمال ، وسليمان يدرك أن هذا الرد سينهى الأمر مع ملكة لا تريد العداء ـ كما يبدو من طريقتها فى مقابلة رسالته القوية ! ويرجح أنها ستجيب دعوته ، أو يؤكد وقد كان .

قال النسفى : « إن ما عندى خير مما عندكم، وذلك أن الله آتانى الدين الذى فيه الحظ الأوفر، والغنى الأوسع ، وآتانى من الدنيا ما لا يستزاد عليه ، فكيف يرضى مثلى بأن يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا ، فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم ؛ لأن ذلك

مبلغ همتكم ، وحالى خلاف حالكم ، وما أرضى منك بشىء ، ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية » .

ثم يعرض القرآن حصافة نبى الله سليمان بعد عرض ذكاء الملكة بلقيس فى مشهد سابق ، فبعد عرض الإسلام ، ومشهد الهدية والرشوة كانت الشدة فى الرد بالإنذار بجنود لا قدرة لملكة سبأ بهم ، وإخراجهم من مملكتهم مدحورين مهزومين ، وذلك لإخافة من قالوا : إنهم أولو قوة وأولو بأس شديد ، أما الملكة فكان لابد من سوقها للإيمان بوسيلة أخرى وهى عرض مظهر من مظاهر القوة الخارقة لتقاد إلى الإيمان بالله ، ولأن فى إيمانها وسيلة لإيمان من يأتمرون بأمرها .

ويظهر السياق هنا قيمة القرب من الله أنها تعطى قوة تفوق قوة الإنس ومردة الجن ، فعرض عفريت من الجن أن يأتى بعرش بلقيس قبل أن يقوم سليمان من مقامه ، وعرض مؤهلات القيام بالأمور وهى القوة والأمانة ، لكن رجل مؤمن على اتصال بالله أتى به قبل أن يرتد إليه طرفه ، وهكذا أجرى سليمان سباقا بين رعيته فكان القرب من الله هو الأقرب .

وفى قول الله تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام : ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ ، **يقول صاحب الظلال فى ذلك** : « استشعر أن النعمة على هذا النحو ابتلاء ضخم يحتاج إلى يقظة ليجتازه ، وإلى عون الله ليجتازه ، ويحتاج إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم ، ليعرف الله منه هذا الشعور فيتولاه ، والله غنى عن شكر الشاكرين » .

قال النسفى : « وفى كلام بعضهم إن كفران النعمة بوار ـ وقلما أقشعت نافرة رجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر ، واستدم راهنها بكرم الجوار ، واعلم أن سبوغ ستر الله ـ تعالى ـ متقلص عما قريب إذا أنت لم ترجُ لله وقارا ، أى لم تشكر لله نعمة » .

وفى **صحيح مسلم** : « يقول الله تعالى : « يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانو على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أن أو لكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا ، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

وبعد إحضار العرش كان اختبارًا لذكائها وقدراتها؛ ليعلم كيف استحقت أن تتملك قومها، فأمر بتغيير ملامح العرش ورأت الملكة ، وعندما سئلت عن تشابه عرشها بذلك العرش ردت بذكاء ولباقة الملوك ﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ وأخذ النص القرآنى يؤكد سلامة فطرتها أنها ما صدت عن سبيل الله ، أنها نشأت بين قوم كافرين ، وحين جاءتها الدعوة لمست شغاف قلبها وبدأت الحجب تزال ، وأن الشيطان هو الذى صدها عن السبيل لكن هاتف الإيمان بدأ يخاطبها..

ولم يبق إلا معجزة أخرى لتمزق نياط الكفر ، ودخلت الصرح وهو قصر من البللور ، أقيمت أرضيته فوق الماء ، وظهر كأنه لجة ، فلما قيل لها : ادخلى الصرح ، حسبت أنها ستخوض تلك اللجة ، فكشفت عن ساقيها فقيل : إنه صرح ممرد ، وحدثت المعجزة ، وظهر ذكاء الملكة فى إدراكها أن سليمان مسخر له قوى أكبر من طاقة البشر ، فرجعت إلى الله ، وناجته معترفة بظلمها فيما سلف من عبادة غيره .

قال ابن كثير : « عن يزيد بن رومان : ثم قال لها ادخلى الصرح ؛ ليريها ملكا هو أعز من ملكها ، وسلطانا هو أعظم من سلطانها ، فلما رأته حسبته لجة ، وكشفت عن ساقيها ، لا تشك أنه ماء تخوضه ... » .

ويقول صاحب الأساس : « وهذا الدرس العظيم الذى نأخذه من سليمان يفيد أن المدينة الإسلامية يجب أن تكون أرقى المدنيات ؛ لأن فى ذلك إخضاعا نفسيا لبقية المدنيات ، وأهلها ، ومن المعروف أن من أسباب الردة المعاصرة تفوّق الكافرين على المسلمين مدنيا ، مما أدى إلى وجود عقدة نقص عند المسلمين ، ومما جعل الكافرين يستغلون ذلك ليهاجموا الإسلام وأهله ، ويتفاخروا بالكفر وأنظمته » .

هكذا يلفت النص القرآنى قضية المساواة ، فبلقيس أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، فعرفت أن الإسلام لله ليس استسلاما لأحد من خلقه ، ولو كان هو سليمان النبى الملك صاحب هذه المعجزات ، إنما الإسلام لله رب العالمين ، ومصاحبة المؤمنين ، وهكذا ضُرِب مثل للمعاندين الذين يأبون الهداية استكبارا فها هى امرأة ترى أن العزة فى الإيمان بالله الذى يسوى بين الغالب والمغلوب ، بين القائد والتابعين .

يقول صاحب الأساس : « هذا الدرس العظيم الذى نأخذه من سليمان أن المدنية الإسلامية يجب أن تكون أرقى المدنيات ، لأن فى ذلك إخضاعًا نفسيا لباقى المدنيات وأهلها ، ومن المعروف أن من أسباب الردة المعاصرة هو تفوق الكافرين على المسلمين مدنيا » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ تعظيم نعمة الله على الإنسان ، وعدم المساومة فى مسألة العقيدة .

٢ ـ فضل الاتصال بالله عظيم ، والقرب منه .

٣ ـ تنوع وسائل الدعوة إلى الله .

٤ ـ فضل الشكر فى استنزال نعمة الله واستزادتها .

٥ ـ الحذر من غواية الشيطان بالذكر والدعاء .

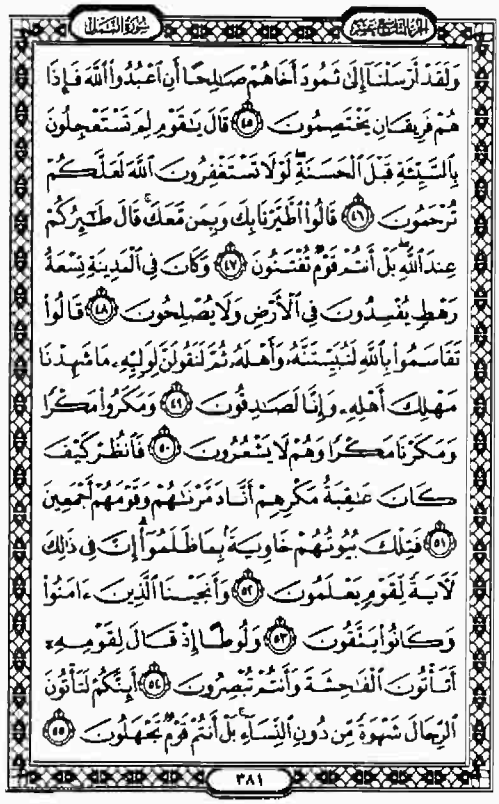
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا
هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟
تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾
٣٨١

معانى الكلمات :

يختصمون : يختلفون .

اطيرنا : تشاءمنا .

طائركم : حظكم المكتوب عليكم .

لنبيتنه : لنقتلنه فجأة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة الشجاعة فى مواجهة المنكرات ومرتكبيها .

٢ ـ أن يتعرف المؤمن على جهاد صالح ولوط عليهما السلام ضد فساد قومهما .

٣ ـ أن يمارس المؤمن فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

المحتوى التربوى :

تسوق الآيات قصة سيدنا صالح عليه السلام ، وتبرز موقف العقيدة بين فريقين ؛ فريق يدعو إليها، وفريق يصد عن سبيل الله ، رغم أن الداعى لا يدعو إلا إلى عبادة الله وهى أصل الرسالات السماوية لكن الكفار والمعاندين أعرضوا عن ذلك ؛ لأنهم يعرفون أن لها تكاليف وتبعات وتخلى عن مطامعهم ومصالحهم الدنيوية وهو الفريق الأكثر عددا .

يقول صاحب الظلال : « يلخص رسالة صالح عليه السلام فى حقيقة واحدة : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ فهذه هى القاعدة التى تركز عليها رسالة السماء إلى الأرض فى كل جيل ، ومع كل رسول ، ومع أن كل ما حول البشر فى هذا الكون ، وكل ما يمكن فيهم أنفسهم ، يهتف بهم إلى الإيمان بهذه

الحقيقة الواحدة ، فقد أمضت البشرية أجيالا وأزمانا لا يعلمها إلا الله ، وهى تقف أمام هذه الحقيقة البسيطة وقفه الإنكار والجحود ، أو وقفة الهزء والتكذيب ، وما تزال إلى اليوم تزوغ عن هذه الحقيقة الخالدة ، وتجنح إلى شتى السبل التى تتفرق بها عن سبيل الله الواحد المستقيم » .

لكن الكفار وهم فى الطريق للغرق يرفضون الأيدى التى تنقذهم ، وهم رسل الله ، رسل الهداية ، دعاة إلى الخير لكن يواجهون بالاستهزاء ، والداعية مع ذلك رحيم بهم يدعوهم للاستغفار ؛ لأن رحمة الله تنزل على المستغفرين ، ولا يقتصر الداعية على ذلك فحسب ، بل يصحح لهم المفاهيم بأن تشاؤمهم به وبالمؤمنين ، وإنه من خرافاتهم التى أوصلهم إليها الجهل والضلال والكفر وجحود نعمة الله .

والتطير : التشاؤم مأخوذ من عادة الأقوام الجاهلة التى تجرى وراء الخرافات والأوهام ؛ لأنها لا تخرج منها إلى نصاعة الإيمان ، فقد كان الواحد منهم إذا هم بأمر لجأ إلى طائر فزجره أى أشار إليه مطاردًا ، فإذا مر سانحا عن يمينه إلى يساره استبشر ومضى فى الأمر ، وإن مرّ بارحًا عن يساره إلى يمينه تشاءم وتوقع الضر ، وما تدرى الطير الغيب ، وما تنبئ حركاتها التلقائية عن شىء من المجهول .

ولكن النفس البشرية لا تستطيع أن تعيش بلا مجهول مغيب تكل إليه ما لا تعرفه ، وما لا تقدر عليه ، فإذا لم تكل المجهول المغيب إلى الإيمان بعلام الغيوب وكلته إلى مثل هذه الأوهام والخرافات التى لا تقف عند حد ، ولا تخضع لعقل ، ولا تنتهى إلى اطمئنان ويقين .

فلما قال قوم صالح قولتهم الجاهلة الساذجة الضالة فى تيه الوهم والخرافة ، ردهم صالح إلى نور اليقين ، وإلى حقيقته الواضحة ، البعيدة عن الضباب والظلام ، وقال : إن حظكم ومستقبلكم ومصيركم عند الله ، والله قد سن سننا وأمر الناس بأمور ، وبين لهم الطريق المستنير ، فمن اتبع سنة الله ، وسار على هداه ، فهناك الخير بدون حاجة إلى زجر الطير ، ومن انحرف عن السنة ، وحاد عن السواء فهناك الشر بدون حاجة إلى التشاؤم والتطير ، والظاهر أيها القوم أنكم قوم تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال .

يقول صاحب الظلال : « هكذا ترد العقيدة الصحيحة الناس إلى الوضوح والاستقامة فى تقدير الأمور ، وترد قلوبهم إلى اليقظة والتدبر فيما يقع لهم أو حولهم ، وتشعرهم أن يد الله وراء هذا كله . وأن هذا الكون تدبيره وحفظه بأمر الخالق المدبر الحكيم » .

وكما أن الإيمان يحرك صاحبه نحو الهدى والعمل للإسلام ، فإن الكفر والصد عن سبيل الله يدعو للفساد والإفساد فأفسدوا فسادًا كبيرا ، وأى جريمة أشد من القتل قتل الأنبياء والمؤمنين

فى الظلام وللهرب من أولياء دم صالح وأهله ، والعجب أنهم قالوا : ﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ فلا يخدع المرء بالأعمال الفاسدة التى قد تغطيها أقاويل تجمل مقصدها ، والأشد عجبا تذييل الآية بقوله: ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ فهم يبررون كذبهم ؛ لأن النفس الإنسانية تمتلئ بالانحرافات والالتواءات حين لا تهتدى بنور الإيمان .

ولكن المعية الربانية للمؤمنين تظهر فى إبطال كيد الظالمين ، وكم يخطئ الجبارون وينخدعون بما يملكون من حيلة ، ويجهلون أن قوة الله تباغتهم فى أى وقت من حيث لا يشعرون ، فدمر الله هؤلاء الأقوام بظلمهم وصدهم ، وكانت النجاة للمؤمنين وللذين يتقون بالله ؛ لأن الله يدافع عن الذين آمنوا وينصر رسله والمؤمنين الذين سلكوا طريقهم غير هيابين غير خائفين إلا من الله فيؤمنه الله من المخاوف دائما .

وتستمر قصة الدفاع عن العقيدة فى حلقة أخرى وهى قصة لوط مع قومه ، وهى ملحمة فى وقوف الداعية أمام فساد القوم وارتكاس الفطرة ، ومخالفة سنة الله فى الكون ، فوبخهم على هذا الفعل الشائن ؛ لأنه حدث فى مجتمع كامل، وفيه نساء فانحراف الفطرة كان انحرافا جماعيا .

يقول صاحب **الظلال** فى تذييل الآية : ﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أى يبصرون الحياة فى جميع أنواعها وأجناسها تجرى على نسق الفطرة ، وهم وحدهم الشواذ فى وسط الحياة والأحياء والفطرة السليمة ميل الجنس للجنس الآخر ؛ لأنه جعل الحياة تقوم على قاعدة التزاوج ، والأحياء يجدون لذتهم فى تحقيق مطالب الفطرة ، والقدرة المدبرة تحقق ما تشاؤه من وراء لذتهم المودعة فى كيانهم بلا وعى منهم ، ولا توجيه من غيرهم ».

وكان فى تكرار ذكر الفاحشة بإبراز طبيعتها لإبراز شذوذها ومخالفتها لمألوف البشرية ومألوف الفطرة ،لإظهار تقزز الداعية ونفوره من ذلك الفعل المشين ، ولم يكن عجبا أن يدمغهم بالجهل بمعنييه ؛ سواء فقدان العلم أو السفه والحمق، وكلا المعنيين متحقق فى هذا الانحراف البغيض ، فالذى لا يعرف منطق الفطرة يجهل كل شىء ، ولا يعلم شيئًا أصلا ، والذى يميل هذا الميل عن الفطرة سفيه أحمق معتد على جميع الحقوق .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ عدم الانخداع بالشعارات الكاذبة ، فقد تكون الدعاوى المشبوهة الباطلة محلاة بزينة تزين مقصدها .

٢ ـ الثقة فى تدبير الله وتقديره ومعيته للمؤمنين .

٣ ـ الشجاعة فى مواجهة الفواحش ومرتكبيها .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ
لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ
عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ۖ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ
رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾
٣٨٢

معانى الكلمات :

الغابرين : المهلكين .

ذات بهجة : ذات جمال .

خلالها : شعابها .

رواسى : جبالًا ثوابت .

حاجزًا : فاصلا .

تعالى : تنزه وتقدس وتعظم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة الاعتبار والتفكر فى خلق الله .

٢ ـ أن يتعرف المؤمن على بعض مظاهر نعمة الله فى الكون وإعجازها .

٣ ـ أن يعتاد المؤمن الاعتبار والتفكر فى خلق الله .

المحتوى التربوى :

ويتواصل النص القرآنى فى عرض مواقف الكافرين وانتكاس وارتكاس فطرتهم ، وقد اعتبروا صفاء الفطرة واستقامتها خروجا من تقاليدهم ، وهو نفس ما تحاوله مجتمعات معاصرة من تقنين هذا الشذوذ ومساواة مرتكبيه بمن يسير على سواء السبيل .

وما كان جواب قوم لوط إلا أن هموا بإخراج لوط ومن سمع دعوته ، وهم أهل بيته ـ إلا امرأته ـ بحجة أنهم أناس يتطهرون ، وقولهم هذا قد يكون تهكما بالتطهر من هذا الرجس القذر ، وقد يكون إنكارًا عليه أن يسمى هذا تطهرًا ، فهم من انحراف الفطرة بحيث لا يستشعرون ما فى ميلهم المنحرف من قذارة ، وقد يكون ضيقا بالطهر والتطهر إذا كان يكلفهم الإقلاع عن ذلك الشذوذ .

على آية حال لقد هموا همهم ، وحزموا أمرهم ، وأراد الله غير ما كانوا يريدون ، وكان المطر الذى أنزل عليهم إهلاكًا لهم وغسل الأرض من فسادهم .

ويقول صاحب الظلال : « لكننا نلمح فى اختيار هلاك قوم لوط بالمطر ، وهو الماء المحيى المنبت أنه مماثل لاستخدامهم ماء الحياة ماء النطف فى غير ما جعل له ، وهو أن يكون مادة حياة وخصب ، والله أعلم بقوله ومراده » .

وأنجى الله لوطا وأهله إلا امرأته قدر الله أنها من الهالكين فلم ينفعها أنها زوجة نبى أن تنجو من عذاب الله ؛ لأنها كانت تدل القوم على مكانه ؛ لأن القرابة قرابة الإيمان ، والنسب مقطوع إلا نسب العقيدة .

قال الزمخشرى : « أمر رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته ، وأن يستفتح بتحميده ، والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده ، وفيه تعليم حسن ، وتوقيف على أدب جميل ، وبعث على التيمن بالذكرين ، والتبرك بهما ، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين ، ووإصفائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التى يبغيها المسمع .

ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرًا عن كابر هذا الأدب ، فحمدوا الله عز وجل ، وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد ، وقبل كل عظة وتذكرة ، وفى مفتتح كل خطبة ، وتبعهم المترسلون ، فأجروا عليه أوائل كتبهم فى الفتوح والتهانى ، وغير ذلك من الحوادث التى لها شأن » .

وقال ابن كثير : « والقصد أن الله ـ تعالى ـ أمر رسوله ، ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعله بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزى والنكال والقهر أن يحمدوه على جميع أفعاله ، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار » .

وكان لابد من هذا القصص القرآنى من ذكر نعم الله وإثبات قدرة الله ونعمة الله فى اصطفائه عبادًا يهدون للحق وإلى طريق مستقيم، وحمد الله على إرساله هؤلاء الرسل فهم صفوة خلق الله، ومصابيح البشرية لطريق الهدى ومنعها من طريق الردى ، لكن المجتمعات الفاسدة لا تخرج لنا إلا من يفسدون فى الأرض ولا يصلحون .

ومع العظمة والجلال والعظة والاعتبار ، يستمر السياق القرآنى فى خلق الله المقترن بالرحمة من خلقه للسموات والأرض ، وأنزل لنا مطرا ، ومن المطر أنبت لنا حدائق وبساتين ذات بهجة وزينة ، وإن المرء يبقى مشدوها مشدودًا لهذا الإعجاز ، ولا يملك إلا أن ينطق لسانه بتوحيد الله والإقرار له بالخضوع والإذعان ، ويمتلئ المر غيظاً وتقززا من الذين يساوون مع الله معبودات أخرى .

قال النسفى : « ولا خير فيها أشركوه أصلا حتى يوازن بينه ، وبين ما هو خالق كل شىء ، وإنما هو إلزام لهم وتهكم بحالهم ، وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ، ولا يؤثر عاقل شيئا على شىء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ، ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه ، وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ، ولكن هوى وعبثا ؛ لينبهوا على الخطأ المفرط ، والجهل المورط ، وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد » .

ويستمر السياق القرآنى فى عرض الإعجاز القرآنى فى جعله الأرض دون سواها من الكواكب مقرًا للإنسان وذللها له بالأنهار ، وثبت فيه الرواسى التى تحفظ الأرض ، وفصل بين العذب الفرات ، والملح الأجاج بفاصل يجعل منسوب النهر أكبر من منسوب البحر ، وإن عين الاعتبار والاتعاظ من هذا ، ذلك هو التأمل فى خلق السموات والأرض .

ثم ينتقل السياق للتأمل فى النفس حين ضعفها واضطرارها أنها بالفطرة السليمة لا تلجأ إلا لله بقوته ؛ كى ينجدها مما هى فيه ، ويتجه الإنسان إلى الله ، ولو كان قد نسيه من قبل فى ساعات الرخاء ، فهو الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويزيل الضرَّ ، وهو الذى جعلنا خلفاء فى الأرض ، ولو علم الإنسان تبعات هذا الاستخلاف ما ضل عن السبيل ، بل أن الكون وما فيه من نعم أعد لهذا الإنسان ، فأقبح بالجحود والنكران ولو تذكر الإنسان وتدبر مثل هذه الحقائق لبقى موصولا بالله ، ولكن الناس ينسون ويغفلون .

وما زالت الدعوة للتأمل والاتعاظ مستمرة ، فالناس يسلكون فجاج البر والبحر فى أسفارهم ، ويسيرون أسرار البر والبحر فى تجاربهم ، ويهتدون ، فمن يهديهم ؟ من أودع كيانهم تلك القوى المدركة ؟ من أقدرهم على الاهتداء بالنجوم وبالآلات وبالمعالم ؟ من وصل فطرتهم بفطرة هذا الكون ، وطاقاتهم بأسراره ؟ من جعل لآذانهم تلك القدرة على التقاط الأصوات ، ولعيونهم القدرة على التقاط الأضواء ؟ ولحواسهم تلك القدرة على التقاط المحسوسات ؟ ثم جعل لهم تلك الطاعة المدركة المسماة بالعقل أو القلب للانتفاع بكل المدركات ، وتجميع تجارب الحواس والإلهامات ؟ ثم هذا المطر من قدره وبعثه رياحا تسير سحبه ؟

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ صلة الإيمان هى أقوى الصلات التى تربط بين المؤمن وإخوانه وأقاربه .

٢ ـ ملازمة التفكر والتدبر فى السموات والأرض .

٣ ـ ملازمة التفكر فى خلق الإنسان وبديع صنع خلق الله .

٤ ـ اللجوء إلى الله فى الرخاء والشدة .

معانى الكلمات :

ادارك علمهم : عجز علمهم عن معرفة وقتها .

عاقبة : مصير ونهاية .

المجرمين : المكذبين بالرسل .

ردف : قرب .

ضيق : حرج وضيق بالصدر .

ما تكن صدورهم : ما تخفى وتستر .

غائبة : شىء يغيب ويخفى عن الخلق .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة الإيمان بالبعث والنشور .

٢ ـ أن يعلم المؤمن مواقف الكفار من قضية البعث والنشور .

٣ ـ أن يتفكر المؤمن دائما فى البعث والنشور وما بعدهما .

المحتوى التربوى :

تواصل الآيات عرض الإعجاز الإلهى المرتبط بحياة الإنسان ؛ ليكون أسهل الى الإقناع ، وأقرب إلى الإقرار بوجود الله ، فالذى بدأ الخلق قادر على إعادته ، وهذا يقود للإيمان بالبعث والنشور والجنة والنار ، وهو الذى يرزق ؛ لأنه بيده السموات والأرض .

وقال صاحب الظلال : « وقد ذكر رزقهم من السماء والأرض بعد ذكر البدء والإعادة ؛ لأن رزق السماء والأرض له علاقة بالبدء والإعادة ، فعلاقة رزق الله بالبدء معروفة فهو الذى يعيش عليه العباد ، وعلاقة الإعادة أن الناس يجزون فى الآخرة على تصرفهم فى هذا الرزق الذى أعطوه فى الدنيا » .

ثم ينتقل السياق القرآنى بعد هذه الجولة فى الآفاق وفى أنفسهم لإثبات الوحدانية ونفى الشرك ، ويأخذ معهم جولة أخرى عن الغيب المستور الذى لا يعلمه إلا الخالق الواحد المدبر ، وفى هذا خير للإنسان ، فلو علم الله أن فى كشف هذا الستر المسبل خيرًا لكشفه للإنسان المتطلع الشديد التطلع إلى ما وراءه ، كذلك يجب الإيمان بالبعث وما بعده ، **وكما يقول صاحب الظلال** : « والإيمان بالبعث والحشر وبالحساب وبالجزاء عنصر أصيل فى العقيدة لا يستقيم منهجها فى الحياة إلا به ، فلا بد من عالم مرتقب ، يكمل فيه الجزاء ، ويتناسق فيه العمل والأجر ، ويتعلق به القلب ، وتحسب حسابه النفس ، ويقيم الإنسان نشاطه فى هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك » .

وهنا يقرر السياق أن الغيب من الله ، وأن علمهم عن الآخرة منته محدود ، ولقد وقف الإنسان منذ بدء الخليقة أمام ستر الغيب المحجوب ، لا ينفذ إليه علمه ، ولا يعرف مما وراء الستر المسدل إلا بقدر ما يكشف له منه علام الغيوب ، وكان الخير فى هذا الذى أراده الله ، ولقد منح الله هذا الإنسان من المواهب والاستعدادات والقوى والطاقات ما يحقق به الخلافة فى الأرض ، وما ينهض به بهذا التكليف الضخم ولا زيادة ، وانكشاف ستر الغيب له ليس مما يعنيه فى هذه المهمة .

وليس الإنسان وحده هو المحجوب عن غيب الله ولكن كل من فى السموات والأرض من خلق الله من ملائكة وجن وغيرهم ممن علمهم عند الله ، وبعد هذا التعميم فى أمر الغيب يخصص فى أمر الآخرة ؛ لأنها القضية التى عليها النزاع مع المشركين بعد قضية التوحيد ، وينفى عنهم العلم بموعد البعث فى أغمض صوره وهو الشعور ، فهم لا يعلمون بهذا الموعد يقينا ، ولا يشعرون به حين يقترب شعورا .

ثم يضرب عن هذا ليتحدث فى موقفهم هم من الآخرة ، ومدى علمهم بحقيقتنا ، فأسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون .

وكما أن نقطة الإيمان بالبعث والنشور نقطة حاسمة فاصلة فى قضية الإيمان ، كانت هى العقدة التى يقف أمامها الذين كفروا دائما فهم لا يصدقون أن أجسادهم إذا فنيت ستعاد مرة أخرى هى وأجساد آبائهم ، رغم أنهم سمعوا هذا التذكر قبل ذلك ، وهذا يعنى أن رسالات الله لا تنقطع ، وأن الرسل والدعاة لا ينقطعون عن الدعوة إلى الله ، ويواجهون انحراف العقيدة

وفساد الأخلاق ؛ وهذا الأمر يتكرر ويتكرر مع الدعوة للمعاندين والجاحدين حتى يأخذوا عبرة ممن سبقهم .

ولمسة حانية يأتى بها النص القرآنى على الدعاة بألا يحزنوا لما يصيبهم ، ولا يضايقهم مكر الكفار ، فهم دعاة إلى الله ، لا يريدون إلا الخير لأقوامهم ، فلم يضيقون من مكرهم والله خير الماكرين ؟

وتستمر الآيات فى سرد ضلالات المكذبين ، وغواية الشيطان لهم باستهزائهم من رسل الله واستعجالهم العذاب الذى يهددون به ، ثم كانت ثقة الداعية بربه ، ورده القوى عليهم بأن العذاب قد يحيق بهم، فقد يكون وراءهم ـ رديفا لهم كما يكون الرديف وراء الراكب فوق الدابة ـ وهم لا يشعرون ، وهم فى غفلتهم يستعجلون به وهو خلف رديف ، ويا لها من مفاجأة ترتعش لها الأوصال ، وهم يستهزئون ويستهترون .

وهنا يظهر فضل نعمة الله فى إرساله للرسل ، وفضله عليهم فى تبشيرهم بالجنّة ، وتخويفهم من النار لكن أكثر الناس لا يشكرون نعمة الله عليهم فى إمهالهم ، وتأخير العذاب عليهم رغم أن الله يعلم ما تكن صدورهم ، وما تعلنه ألسنتهم وأفعالهم ، فإمهال الله لهم عن علم وفضل ، ولأنه لا شىء فى السماء والأرض يغيب عن علم الله وفضله .

ثم يأتى النسق القرآنى يؤكد وحدة مصدر التشريع فى الأمة الإسلامية ، وأن هذه الأمة قد ميزت عن الأمم السابقة بعدم اختلافها فى دينها ، وليست كالأمم الأخرى الذين فرقوا دينهم شيعًا فلسنا منهم ، لكن القرآن أتى بالحقائق الثابتة والقصص الصحيحة من غير تحويل ولا اختلاف ، فلم تختلف اختلاف النصارى فى أمر المسيح وقصه صلبه ، ولم نختلف اختلاف اليهود فى تشريعاتهم وحكاياتهم عن أنبياء الله ، بل جاء القرآن مطهرا لصفحات هؤلاء الرسل الكرام التى لوثتها الأساطير الإسرائيلية .

ما ترشدنا إليه الايات تربويًا :

١ ـ تنوع الخطاب فى الدعوة إلى الله حسب فئات المدعوين وأعمارهم وأحوالهم .

٢ ـ وجوب التفكر والاعتبار فى البعث والنشور .

٣ ـ ألا ييأس الداعى إلى الله من هجر وصد الناس له .

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا
وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾
٣٨٤

معانى الكلمات :

يقضى بينهم : يحكم بينهم .

مدبرين : معرضين .

وقع القول : اقتربت الساعة .

نحشر : نجمع للحساب .

فوجا : جماعة .

داخرين : أذلاء صاغرين .

جامدة : ثابتة لا تتحرك .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بهول يوم القيامة وما يسبقه من أشراط الساعة .

٢ ـ أن يعرف المؤمن بعض مشاهد يوم القيامة وبعض علامات الساعة .

٣ ـ أن تزداد عبادات وطاعات المؤمن لربه ، ويزداد انطلاقه فى الدعوة .

المحتوى التربوى :

ويأتى النسق القرآنى بذكر صورة مقابلة لاختلاف بنى إسرائيل بذكر المؤمنين وما فيه من هدى يقى هؤلاء المؤمنين من الاختلاف والضلال ، ورحمة تحميهم من الشك والقلق ، إنما غير المؤمنين فمناهجهم متخبطة مختلفة ، وقصصهم حول الأنبياء فيها الاختلاف والافتراء ، وأمرهم إلى الله عز وجل يقضى بينهم بحكمه .

ثم يتواصل النسق القرآنى فى تأكيد انتصار الحق وإن استبطأه المؤمنون ، لكن سنة الله لا تتخلف بانتصار هذا الحق ، ولا يتم الإيمان بالله إلا باعتقاد صدق المنهج الربانى والعمل به ، ولا يضر الرسل والدعاة صدّ الكفار وإعراضهم ويصورهم القرآن بالموتى تارة لجمود قلبهم ،

وجمود روحهم، وبلادة حسهم ،وهمود شعورهم، بل هم صم مدبرون عن الداعى لا يسمعون ، وعُمى عن الحق يتخبطون فى ضلالاتهم ، وذلك شأن من اتخذ دستورًا غير القرآن ، ومنهاجًا غيره ، وكذب وأعرض عن الحق إذ جاءه .

لكن الفائز فى الحياة الدنيا وفى الآخرة هو من تهيأت نفسه لتلقى آيات الله بالسمع والبصر ، فتصل آيات الله للمؤمن فينتفع بحياته وسمعه وبصره .

يقول صاحب **الظلال** : « إن الإسلام بسيط وواضح وقريب إلى الفطرة السليمة ، فما يكاد القلب السليم ، يعرفه حتى يستسلم له ، فلا يشاق فيه ، وهكذا يصور القرآن تلك القلوب القابلة للهدى المستعدة للإيمان ، التى لا تجادل ولا تمارى بمجرد أن يدعوها الرسول فيصلها بآيات الله ، فتؤمن لها وتستجيب » .

ثم تأتى جولة أخرى فى أشراط الساعة عند حديث القرآن عن الدابة لتذكير الكفار بأن موعد التوبة قد ينتهى أجله قبل أن يرجع الظالمون عن غيهم ، وحسبنا النص القرآنى والحديث الصحيح الذى يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة ، وأنه إذا انتهى الأجل الذى تنفع فيه التوبة ، وحق القول على الباقين ، فيقضى عليهم بما هم عليه ، عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم ، والدواب لا تتكلم أو يفهم الناس عنها ـ ولكنهم اليوم يفهمون ويعلمون أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة ، وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله ، ولا يصدقون باليوم الموعود .

ويأتى التذكير بيوم الحشر ليرى عاقبة من صد عن سبيل الله ، ومن اتخذ آيات الله هزوا ، ومن كان يستعجل العذاب ، وقامت الحجة على الكافرين فما ينطقون ، وكانوا قد ملؤوا الدنيا صياحًا بالتكذيب وآيات الله تدعو للاعتبار ، والاعتبار بآية واحدة تعود إلى الإيمان بالله ، فنشهد الليل الساكن والراحة فيه ، والنهار المبصر والكدّ فيه،وهما خليقان أن يوقظا فى الإنسان وجدانا دينيا يجنح إلى الاتصال بالله .

ومن تأملات صاحب **الظلال** فى الليل والنهار: « ولو لم يكن هناك ليل لكان الدهر كله نهارا ولانعدمت الحياة على وجه الأرض ، وكذلك لو كان الدهر كله ليلا ، بل إنه لو كان النهار أو الليل أطول مما هما الآن عشر مرات فقط لحرقت الشمس فى النهار كل نبات ، ولتجمد فى الليل كل نبات ، وعندئذ تستحيل الحياة ففى الليل والنهار بحالتها الموافقة للحياة آيات ، ولكنهم لا يؤمنون » .

ثم كان موقف التهديد للكفار بذكر مشهد نفخ الصور وفزع أهل السموات والأرض إلا من أخلص العبادة لله ، فيؤمنه الله بعدم الفزع بل تلك كانت نفسا مطمئنة فى الدنيا ، فكان

الاطمئنان فى الآخرة ، ويأتى الناس أذلاء بين يدى الملك الجبار ؛ ليجزى الله الصادقين بصدقهم والظالمين بظلمهم .

والصور البوق ينفخ فيه ، وهذا هى نفخة الفزع يشمل كل من فى السموات ومن فى الأرض ـ إلا من شاء الله أن يأمن ويستقر ، وقد ثبت الله قلبه من الملائكة ، قالوا : هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل : الشهداء ، وقيل: الحور ، وخزنة النار ، وحملة العرش، وفى هذه النفخة يصعق كل حى فى السموات والأرض إلا من شاء الله ، ثم تكون نفخة البعث ، ثم نفخة الحشر ، وفى هذه يحشر الجميع أذلاء مستسلمين .

ويصاحب الفزع الانقلاب الكونى العام الذى تختل فيه الأفلاك ، وتضطرب دورتها ، ومن مظاهر هذا الاضطراب أن تسير الجبال الراسية، وتمر كأنها السحاب فى خفته وسرعته وتناثره، ومشهد الجبال هكذا يتناسق مع ظل الفزع ، ويتجلى الفزع فيه ، وكأنما الجبال مذعورة مع المذعورين مفزوعة مع المفزوعين ، هائمة مع الهائمين الحائرين المنطلقين بلا جهة ولا قرار ، والآية تشير إلى دوران الأرض على رأى .

ثم يستمر التلاحم بذكر مشاهد من الآخرة ثم ذكر آيات من الدنيا تدعو للعبرة والعظة وهو مشهد الجبال ونحن نراها ثابتة راسخة وهى تمر وتسير كالسحاب ؛ لأن كل شىء فى الكون فى حركة مستمرة ، فليتأمل من يتنكر لهذا الصنع العجيب ، وأن من أعرض عن آية فليواجه بآية أخرى تدعو للتأمل فى صنع الله ـ سبحانه ـ يتجلى إتقان صنعته فى كل شىء فى هذا الوجود ، فلا فلتة ولا مصادفة ، ولا ثغرة ولا نقص ، ولا تفاوت ولا نسيان ، فكل شىء بتدبير وتقدير ، يدير الرؤوس التى تتابعه وتتملاه .

وهذا يوم الحساب عما تفعلون ، قدره الله الذى أتقن كل شىء وجاء به فى موعده لا يستقدم ساعة ، ولا يستأخر ؛ ليؤدى دوره فى سنة الخلق عن حكمة وتدبير ، وليحقق التناسق بين العمل والجزاء فى الحياتين المتصلتين المتكاملتين .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا:

١ ـ التوكل إلى الله فى كل أمر بعد القيام بالتكاليف وأخذ الأسباب .

٢ ـ التفكر والتدبر فى خلق السموات والأرض .

٣ ـ تذكر علامات الساعة واستحضار مشاهدة يوم القيامة لزيادة الإيمان .

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ
إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي
لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣

سُورَةُ القَصَصِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥

معانى الكلمات

كبت وجوههم : أبقوا فى النار منكسين .

هذه البلدة : مكة المكرمة .

شيعاً : فرقاً وأصنافا .

يستحيى نساءهم:يستبقى بناتهم للخدمة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر الداعية بأن نصر الله للمؤمنين قريب ، وإن إهلاكه ـ عز وجل ـ للظالمين واقع لا محالة .

٢ ـ أن يعلم المؤمن جوانب من طغيان فرعون وظلمه .

٣ ـ أن يسعى المؤمن فى الأرض عابدًا لله غير هيّاب من الظالمين .

المحتوى التربوى :

تأتى الآيات لتوضح نتيجة الطاعة والعبادة ، ولتقرير العدل الإلهى الذى لا ميل فيها ولا محاباة ، فى أن من يعمل صالحًا فى الدنيا فجزاء الله عليه واقع بجزاء فى الجنة وهو خالد فيها ، ويؤمن من الفزع جزاء ورحمة من ربهم لأوليائه وعباده ، والأمن من الفزع هو وحده جزاء ، وما بعده فضل من الله ومنة ، ولقد خافوا الله فى الدنيا فلم يجمع عليهم خوف الدنيا وفزع الآخرة ، بل أمنهم يوم يفزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا ما شاء الله ، وأن من أعرض عن ذكره ، فيكب على وجهه فى النار بمجمع الحواس ، فالجزاء من جنس العمل .

وقال الفخر الرازى : « اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين المبدأ والمعاد والنبوة ، ومقدمات القيامة وصفة أهل القيامة من الثواب والعقاب ـ وذلك كمال ما يتعلق ببيان أصول الدين ختم الكلام بهذه الخاتمة اللطيفة فقال : قل يا محمد إنى أمرت بأشياء :

الأول : إنى أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا ، وأن الله ـ تعالى ـ لما قدم دلائل التوحيد ، فكأنه أمر محمدًا بأن يقول لهم هذه الدلائل التى ذكرتها لكم إن لم تفد لكم القول بالتوحيد ، فقد أفادت لى ذلك فسواء قبلتم هذه الدعوة أو أعرضتم عنها ؛ فإنى مصر عليها غير مرتاب فيها .

ثم إنه وصف الله تعالى بأمرين : **أحدهما** : إنه رب هذه البلدة ، والمراد مكة ، وإنما اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها ؛ لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه .

ويلخص الرسول ﷺ دعوته ومنهجه فى الدعوة ، وهو فى خطابه لمشركى مكة يذكرهم تبعة الله عليهم بأن تلك البلدة صارت بلدة حراماً ، وهم يستمدون سيادتهم على العرب من عقيدة تحريم البيت ، ثم لا يوحدون الله الذى حرمه ، وأقام حياتهم كلها عليه ويقول صاحب الظلال : « فالرسول ﷺ يُقوِّم العقيدة كما ينبغى أن تُقوَّم ، فيعلن أنه مأمور أن يعبد رب هذه البلدة الذى حرمها ، لا شريك له ، ويكمل التصور الإسلامى للألوهية الواحدة، فرب هذه البلدة هو رب كل شىء ، ويعلن أنه مأمور بأن يكون من المسلمين الموحدين لله » .

وعند خطاب الكفار لابد من وسيلة وهو القرآن ، وهو كتاب هذه الدعوة ودستورها ووسيلتها كذلك ، وقد أمر أنه يجاهد به الكفار وهو هدى وبشرى ورحمة للمؤمنين الذين اهتدوا به ، ولكن من ضل وزاغ ، واتخذ القرآن مهجورا ، فقد أورد نفسه موارد التهلكة ؛ وفى ذلك تأكيد لمعنى فردية الله .

يظهر فى الآيات فردية التبعة فى ميزان الله فيما يختص بالهدى والضلال فمن آمن فلنفسه ، ومن ضل فعليها ، وفى فردية التبعة تتمثل كرامة هذا الإنسان التى يضمنها الإسلام ..

وكان ختام السورة يناسب موضوعاتها فى حمد الله على نعمة فى الكون التى آمن بها المهتدون ، وكفر بها الطاغون ، وسيرون فى القيامة جزاء إنكارهم وجحودهم؛ لأن الله لا يغفل ظلم الظالمين؛ ولا يصلح عمل المفسدين .